دراسات الأدب المعاصر، السنة العاشرة، شتاء ۱۳۹۷، العدد الأربعون: صص ۴۷- ۷۲

الحزن والألم فی شعر إبراهیم ناجی

بهمن هادیلو*

علی حسین غلامی یلقون آقاج**

تاریخ الوصول: ۹۷/۶/۲۸

تاریخ القبول: ۹۷/۱۰/۱۸

الملخّص

الحزن من الظواهر الشائعة فی قصائد کثیر من شعراء العرب فی العصر الحدیث؛ لمناسبته لطبیعة الظروف الحضاریة التی تمرّ بها الأمة، وغلبة الهزائم علیها، ممّا جعلت ظاهرة الحزن تمثل قیمة تعبیریة واضحة أضافت إلی التجربة الشعریة بعامة آفاقاً جدیدة، زادتها ثراءً وخصباً وإذا کان الحزن سمة عامة فی الشعر العربی الحدیث فإنّه فی الشعر الرومانسی اکثر وضوحا. بما أنّ *إبراهیم ناجی* یعدّ من أعلام الشعراء فی الحزن والألم ومن الشعراء المصریین المجددین. جری مجری الرومانسیة ویرکن شعره إلی الشکوی والأنین ویمتاز بالجدة. وناجی من هولاء الشعراء الذین تتراءی له أشباح الآلام وشعره حافل بتصاویرها کما من خلال دراسة أشعاره نصل إلی أنغام مختلفة فی شعره وهذه النغمات تبین موقفه الأدبی وتأملاته وأحزانه مع تعابیره الخاصة حیث نجد هذه النغمات الحزینة فی شتی المواضع، ومنها الحب وإحساسه المأساوی إلی الحیاة وتارة أخری فی حبه لمصر والموت و...؛ فیجد الشاعر فی هذه الأغانی ما یغذی رومانسیته البکاءة وما یزید شکواه إلتهاباً. هذه المقالة تحاول الترکیز علی مظاهر الحزن والألم فی شعر *إبراهیم ناجی* وتبیین أسباب هذه المظاهر مع الإشارة إلی مفهوم الحزن فی الأدب العربی، فیقوم هذا البحث علی المنهج الوصفی والتحلیلی.

الکلمات الدلیلیة: إبراهیم ناجی، الشعر، العصر الحدیث، الحزن، الرومانسیة.

* أستاذ مساعد فی فرع اللغة العربیة وآدابها بجامعة العلوم والمعارف القرآنیة. bahman63hadilu@yahoo.com

** دکتوراه فی اللغة العربیة وآدابها، الخریج من جامعة بوعلی سینا، همدان. aligholami121@gmail.com

الکاتب المسؤول: بهمن هادیلو

المقدمة

ظاهرة الألم ناتجة عن عوامل وأسباب بين الإجتماعى الوجودى والنفسى الذاتى، فالقصيدة فى قلقها تعبّر عن حالة اليأس التى استسلم لها الشعراء وحالة العطالة التى اتنتهوا إليها حين محاولتهم الكشف عن الحقائق الكلّة، فقد جسّد شعرهم السّأم الوجودى الإنسانى، والإحساس برتابة الأشياء، وعطل الحياة الإنسانية وتفاهة اليومى.

شعور الإنسان بالألم والحزن ظلّ رفيقه فى الحياة وهذه الآلام تكون لفقد عزيز أو أمنيّة أو نعمة أو تكون لحرمانٍ مما يحب ويريد فى الحياة. نحن نجد بيان هذه الإختلاجات فى شعر الشعراء من العصر الجاهلى حتى شعراء العصر الحديث ونراه خاصة فى أشعار المذهب الرومانسى كالشعور الحاد بالألم عند *أبى القاسم الشابى* و*إبراهيم ناجى* و... . كان *ناجى* شاعر الدمعة المنسكبة على مآسى الحياة ومن بواعث اختيار هذا الموضوع هى أن نعرف شعره الرومانتيكى وأغانيه الشجينة وأسباب هذه الأغانى مع ميزاتها وتعبير عنها.

أما هذا المقال بعد ذكر حياة الشاعر فيبحث عن شعره ثم يشير إشارة موجزة إلى الحزن فى الشعر العربى ثم يتناول الحزن فى شعر *ناجى* ويذكر جوانبه المختلفة مع الأشعار التى حوله. يهدف المقال هذا دراسة شعره وأيضاً ما هى العوامل التى أثرت فى إتجاهه الشعرى وآلامه؟ وفى أىّ جوانب تكون آلامه؟ وكيف يعبّر عنها ؟

خلفية البحث

قد كثرت الدراسات الأدبية والنقدية التى تناولت ظاهرة الحزن فى الشعر العربى، منها: *الدكتور ابو الحسن أمين مقدسى* و*الدكتور عادل آزاد دل*(١٣٩٠ش) فى مقال بعنوان «ظاهرة الحزن الرومانسى فى أشعار الشعراء الرواد العراقيين للشعر الحر بدر شاكر السياب، نازک الملائكة، عبد الوهاب البياتى» والمقال مقارنة بين الشعراء العراقيين المذكورين.

منها *صادق فتحى دهكردى* و*گلاله حسين پناهى*(١٤٣٤ق) فى مقال بعنوان «الحزن والألم فى شعر محمد ماغوط» والمقال يحاول أن يتناول شخصية *محمد ماغوط* والمظاهر التى جعلها *الماغوط* وسيلة لبيانه الحزين. أما بالنسبة إلى *ابراهيم ناجى* فإذا نظرنا إلى الموضوعات التى نقشت حوله رأينا أبحاثاً حوله وشاعريته نحو«إبراهيم ناجى شاعراً».

ومنها *کامل محمد محمد عریضة*(۱۴۱۳ق) فی کتاب «ابراهیم ناجی شاعر الأطلال» ومنها *رقیه رستم پور*(۱۳۸۰ش) فی مقال بعنوان «التشاؤم فی شعر ابراهیم ناجی» والمقال تناول مدی تأثّر *ابراهیم ناجی* فی تشاؤمه من الرومانسیة. ولکن ما وجدنا موضوعاً یتناول الألم فی شعر *ابراهیم ناجی* بشکل موضوعٍ مستقل وأما المقال هذا فیتناول الألم والحزن ویشعره من عدّة جوانب ونظراً لعدم وجود دراسة سابقة تبحث الألم والحزن فی شعر *ابراهیم ناجی*، نجد أنّ هذا الموضوع جدیر بالدراسة. فهذه الدراسة بالاعتماد علی المنهج الوصفی- التحلیلی تحاول الإجابة عن الأسئلة التالیة:

۱. ما هو الحزن والألم؟ ۲. ما هی عوامل الحزن والألم وتداعیاته فی حیاة *ابراهیم ناجی*؟ ۳. ما هی أهم مظاهر الحزن والألم فی شعر *ابراهیم ناجی*؟

مفهوم الحزن والألم

ألف. الحزن لغةً

هو غلظة الشیء وخشونته وشدته فالحزن الغلیظ من الأرض والصعب من الدواب وخشن المعملة من الناس، قال *الخلیل بن احمد الفراهیدی*(ت۱۷۵ق): «الحزن من الأرض والدواب ما فیه خشونة»(الفراهیدی، العین، ج۳، ماده حزن).

وذکر *احمد بن فارس*(ت۳۹۵ق): «حزن الحاء والزاء والنون أصلٌ واحدٌ وهو خشونة الشیء وشدّةٌ فیه من ذلک الحزن وهو غلظ فی الأرض»(ابن فارس، معجم مقاییس اللغة، ماده حزن).

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الحزن هو شدّةُ الشیء وغلظةٌ فیه.

ب. الحزن اصطلاحاً

هو ألم القلب بفراق المحبوب ویزداد إلی ما یبغض أو یکره أو إلی شیء مکروه یتوقع حصوله(الطوسی ۱۳۰۹ق، ج۶: ۱۰۷) کما هو فی قوله تعالی علی لسان *یعقوب علیه السلام*: ﴿إنی لیحزُنُنی أن تذهبوا به﴾(یوسف/۱۳) وذلک لأن *یعقوب علیه السلام* قد توقع حصول مکروه لابنه *یوسف علیه السلام* لذلک أحزنه ذهاب أخوته به إذ قال إنی لیؤلم نفسی مفارقته لی إذا ذهبتم به وأخشی أن یأکله الذئب وأنتم عنه غافلون.

وقال *ابن منظور* فی تعریفه للحزن اصطلاحاً: «الحَزَنُ والحُزنُ: نقیض الفرح، وهو خلاف السرور، قال *الأخفش*: والمثالان یعتقبان هذا الضرب، والجمع أحزان لا یکسَّر علی غیر ذلک وقد حزِن بالکسر حَزَناً وتحازن وتحزَّن، ورجل حزنان ومحزان شدید الحزن، وحزنه الأمر یحزنه حزناً»(ابن منظور، لا تا، ج١٣، ماده حزن).

نستخلص من جملة الأقوال المذکورة أنّ الحزن هو الألم والهمّ الذی یحصل فی النفس لغیابٍ أو فقد عزیز وهو قریب من المعنی اللغوی للحزن فکلاهما یدلُّ علی الشدّة، فالمعنی الإصطلاحی هو شدّة فی النفس واللغوی شدة فی الشیء وغلظةٌ فیه.

الحزن فی الشعر العربی

یختلف الشعراء فی إحساسهم بالکون أو بأنفسهم وما حولها إختلافاً مبعثه العمق والحدّة فی الإدراک والنفوذ إلی بواطنهم وبواطن ما یصوّرونه، ونری الشعراء تارة یفیض شعرهم باللذة والفرح وتارة یفیض بالحزن والألم العمیق.

نری فی الأدب العربی شعراء ممن نشدوا أشعاراً لبیان ما فی حیاتهم من الألم والشعور بالحرمان طوال عصور مختلفة کما نلاحظ *إمرأ القیس* فی المجتمع الجاهلی یسعی إلی تصویر حزنه المثقل علیه تصویراً حسیاً، کالذی جرّبه فی حیاته ویقول عن همومه:

ولیلٍ کموج البحر أرخی سُدوله ... علیّ بأنواع الهموم لیبتلی
فقلتُ لَه لمّا تَمَطّی بِصُلبِه ... وأردَفَ أعجازاً ونَاءَ بکلکلِ
ألا أیُّها اللیلُ الطویلُ ألا انجلی ... بِصبحٍ وما الإصباحُ مِنک بأمثَلِ

(امرؤ القیس، ٢٠٠٨م: ٤٨٩)

کما نری فی العصر الأموی دموع المحبین العذریین من أمثال مجنون لیلی:

لَم تَزَل مُقلتی تفیضُ بدَمعٍ ... یشبه الغیثُ بعد أن فَقَدَتها
مُقلةٌ دمعُها حثیثٌ وأخری ... کلّما جفّ دمعُها أسعدتها
ما جَرت هذه عَلی الخدّ حتی ... لَحَقَت تلک بالتی سَبَقَتها

(مجنون لیلی،١٤٢٥ق:٥٠)

وفی العهد العباسی *أبو الطیب المتنبی* من الشعراء الذین أجادوا فی تصویر الحزن والشکوی. إنه یرثی فی قصیدة مؤلمة جدته فیبدأ قصیدته کسائر أقرانه من الشعراء بأبیات

حکمیة ثم یبرز حزنه العمیق الذی زعزع کیانه فجاء بأبیات تبوح عن الألم النفسی الثائر بحیث یحرم علی نفسه السرور فی الحیاة بعد جدته یری *المتنبی* أنّ البؤس والشقاء شائعان فی الحیاة:

صَحب الناسَ قبلَنا ذا الزمانا وعَنَاهم مِن شأنِه ما عَنانا
وتولّوا بغصةٍ کلهم مِنهُ وإن سَرَّ بعضَهُم احیاناً
رُبّما تحسنُ الصنیعَ لیالیـ ـهِ ولکن تکدِّرُ الإحسانا

(المتنبی، لا تا: ۲۳۹)

لقد استقامت نغمة الحزن فی الشعر المعاصر حتّی صارت ظاهرة تلفت الأنظار، بل یمکن أن یقال إنّ الحزن قد صار محوراً أساسیاً فی معظم ما یکتب الشّعراء المعاصرون من قصائد، وقد استفاضت هذه النّغمة حتّی أثارت کثیراً من المناقشات والجدل فی المنتدیات الأدبیّة الخاصّة والعامّة حول سبب تجذّر هذه الظاهرة فی القصیدة العربیّة المعاصرة، وربّما تکمن علّة هذه الظّاهرة فی طبیعة الحیاة ذاتها، تعرّف الشعر العربی علی ظاهرة الحزن جدیّا منذ ظهور التجارب الشعریّة الحدیثة. وهذا کان متزامنا مع بدایة النصف الثانی من القرن العشرین. هنا أسباب عدیدة سبّب فی أن یسلک الشعر العربی فی العصر الحدیث طریقاً خاصاً، هذه العوامل هی استبداد وظلم الحکّام العثمانیین، استعمار الدول العربیة علی ید فرنسا وانجلترا، الأوضاع الاقتصادیة السیئة، إشاعة الأمراض الاجتماعیّة، الظروف السیاسیّة والاجتماعیّة الوخیمة فی البلدان العربیة والأحداث والمصائب التی مرّت بهم وخاصّة نکبة فلسطین عام ۱۹۴۸م التی کانت فاجعةً ونکبةً کبیرةً للأمم العربیة والعالم الإسلامی، وعلاوة علی هذا هناک عوامل أخری أهمّها، إحساس الشعراء الإنسانیّة بمحنة الإنسان المعاصر فی العصر الحدیث وغربته النفسیّة وإحساسه بالضآلة والضیاع. حینما یعجز الشاعر عن إیجاد الملائمة بین منطقه الشخصی وواقع العالم الخارجی، یشعر بالضآلة والحیرة ویصاب بالألم والحزن العمیق. یحفل شعر الشعراء المعاصرین بألفاظ الأسی، الکآبة، الخوف، الموت، والأمنیات التی لمّا تتحقّق والشاعر یقضی حیاته فی حسرة الوصول إلیها(الورقی، ۱۹۸۴: ۲۵۶). وفی العصر الحدیث نقرأ شعر *حافظ إبراهیم* فی البؤس والشقاء وأحزان *بدر شاکر السیاب* کما نجد *ابا القاسم الشابی* فأخذ یشدو أغانی مشجیة وتحیطه الکآبة من کلّ صوبٍ:

مـــاذاجنـــيت مِـــن الحيـــاةِ ومـــن تـجـــاربِ الـــدهـــورِ
غيـــرَ النَّـــدامـــةِ والأســـى واليـــأسِ والدمـــعِ الغـزيـــرِ

(الشابی،١٩٩٦م: ٢٠٢)

إنّ هذه الكثرة من الأشعار المكتظة بلوعة الحزن التی احتوتها بطـون دواويـن الشـعراء يعطی دليلا عن صورة التغلغل الواضح فی نفـوس الشـعراء الـذين ذاقـوا مـرارة الألـم مـع غيرهم من شرائح المجتمع، مرارة الأسی ولوعة الحرمان.

نظرة عابرة إلى حياة ابراهيم ناجی

إبراهيم ناجی شاعر مصری واسمه الكامل *إبراهيم احمد ناجی القصبجی* ولـد بالقـاهرة فـی ٣١ديسـمبر١٨٩٨ م بحـی شـبرا. التحـق بالمدرسـة الإبتدائيـة والمدرسـة الثانويـة والتوفيقية بشبرا ثم التحق بكلية الطب فی جامعة القاهرة وتخرّج منهـا عـام ١٩٢٣وعـين طبيباً. عنی بالأدب العربی والأوربی وألمّ بالإنجليزية والفرنسـيّة وعنـی الشـاعر بالمـدارس الشعرية المعاصرة وانتسب إلى جمعيّة أبولو سنة١٩٣٢م لرغبة ملحة فی نفسه فی التحـرر من قيود التقليد وصار وكيلاً لها(خورشا،١٣٨٦ش:١٤٣). وقد توفی سنة ١٩٥٣ بعد حيـاة حافلة بالروح الإنسانية، وبراءة النفس. خلّف آثاراً منها ديوانه «وراء الغمام»، «ديـوان ليـالی القاهرة»، «ديوان طـائر الجـريح»، «مدينـة الأحـلام: مختـارت مـن محاضـرات وقصـص» (الفاخوری، ١٩٨٦: ٦٦١).

شعر ناجی

إن علاقة *ناجی* بالتراث الشـعری العربـی علاقـة قويـة وهـذه العلاقـة بـالتراث القـديم والحديث وفّر لجملته الشعرية سلامة فی البناء اللغوی، وقدرة على الدلالة الفنية كما نـری هذه العلاقة فی تاثّره *بامرئ القيس* ومعلّقته(قصيدة دعابات نموذجاً) وقرأ ديـوان *الشـريف الرضی* ولعل أهم من يعترف *ناجی* بتأثره من القدماء هـو *أبـو الطيـب المتنبـی* وبالنسـبة للمحدثين *بالبارودی* وقرأ *أحمد شوقی* وأيضاً *خليل مطران* الـذی يعتـرف بأسـتاذيته أمـا فيما يتصل بالثقافـة العالميـة نسـتطيع علـى أن نؤكـد علـى سـعة إطلاعـه علـى الأدب الإنجليزی والفرنسی(وادی،١٩٩٤م: ٢٢٥).

کلّ هذه الثقافات أثرت فی تکوین شعره وإتجاهه إلی الشعر الرومانسی وإلتفاته إلی الشعر الوجدانی کما یقول عنه *الدکتور شوقی ضیف* فی کتابه «الأدب العربی المعاصر فی مصر»: «کان أهم ما یعجبه عنده شعره الوجدانی وأقبل علی أصحاب المنزع الرومانسی یقرأ فی شعرهم وآثارهم وتحمس لهم کما تحمس لأستاذه *خلیل مطران* إذ أعجب إعجاباً شدیداً بمنهجهم الذاتی الذی یقوم علی تصویر خلجات نفسه إزاء الحب والطبیعة دون العنایة بحیاة المدینة»(المصدر السابق: ۱۵۶).

یقول *ناجی* عن شعره «هو النافذة التی أطل منها علی الحیاة وأشرف منها علی الأبد وماوراء الأبد. هو الهواء الذی أتنفسه والبلسم الذی داویتُ بها جراح نفسی عندما عزّ الإساءة. هذا هو شعری»(خفاجی،۱۹۵۶م: ۵۸ وفلسطین، لا تا: ۹۶).

وقد کان *ابراهیم ناجی* من أعضاء المدرسة الرومانسیه فی الأدب العربی. ومن خصائص هذه المدرسة: «غلبه الکآبة ومشاعر الحزن والصراع النفسی الدرامی وشیوع نغمات البکاء والیأس والانفصال عن المجتمع والشعور بهشاشه الحیاة ودنوّ شبح الموت، لکنه الموت الحنون المخلّص لا الموت المخیف»(الأصفر، ۱۹۹۹م: ۴۹).

ومن خصائص المنزع الرومانسی عنده هی ۱. الإنفعال بالطبیعة وکل مظاهر الجمال فیها؛ ۲. النزعة إلی المثل الأعلی والحیاة الفضلی؛۳. الشعور بالغربة فی مجتمع تستبدّ به الشرور بالناس جمیعاً؛ ۴. تحلیل العواطف الإنسانیة فی نفسه وفی نفوس الآخرین ومواقفهم(رضوان،۲۰۰۴م: ۱۱۱).

ناجی کتب عن أعمق التجارب الشعریة مع إتجاهه بالبساطة حیث لا یعرف الزیف فی شعره ویسعی أن یستمد من إحساسه من الجمال والحیاة ونری تعابیره الخاصة. جدد ناجی فی شکل القصیدة ومضمونها کما نری تجدیده فی الموسیقی، فی الخیال، فی اللفظ وفی الأفکار والأسالیب(عویضة،۱۹۹۳م: ۱۴۵). کان الشأن الفنی فی شعره من الکلاسیکیة الجدیدة، أما المضمون والإطار والروح فرومانسی النزعة(ضیف، ۱۹۹۲م: ۱۰۶). شعر *ناجی* فیه الأصالة وعمق التجربة ودعوة واضحة للحریة وللوحدة العضویة فی القصیدة وتبدأ القصیدة بانفعال نفسی یستمر هذا الإنفعال مع عاطفته حتی نهایة مضمون القصیدة ویجذب القارئ مع عذوبته(خفاجی،۱۴۱۲ق: ۱۰۸). «لقد کان *ناجی* وفیّا لنظرة المدرسة الرومانسیة فی وظیفة الشعر، فوظیفة الشعر عنده تعبیریة ذاتیه خاصة. الرومانسیون

جميعاً ينطقون من حبٍّ شديدٍ للإنسانية المعذّبة وحبّ عليها ورغبة حنون فی تخفيف آلامها»(عويضة، ١٩٩٣م: ١٧٢).

أهم اسباب الحزن فی شعر ناجی

إنّ التجربة الشعرية ذات صلة وثيقة بعملية الخلق الشعرى، إذ ينبع الشعر فی الأساس «من جبريّة غامضة، ومن اللاوعی، ومن تنظيم صناعی تام الوعی، فهو عملية تختلط فيها الحياة باللغة، ويتزاوج فيها المعنی، والمبنی، ويلعب فيها كلّ من التنقيح، والطبع دورهما»(درو، ١٩٦١: ٢٥). إنّ ظاهرة الألم قد انعكست فی الأدب وكانت فی أدب الرومانسيين أشدّ انعكاسا. شعر *ابراهيم ناجی* حافل بالألم والذكرى، حافل بالشكوى من الصّدود، ولكنّه مع نزعته الانسانية الطيّبة، لا يذهب فی العمق، ولا تضطرم فيه العواطف الصخّابة وإنما تغلب عليه الغنائية الرقيقة اللينة، كما تغلب عليه الطلاوة والسلاسة مع شیء من الهلهلة(الفاخوری:١٩٨٦م: ۶۶۵). إذا ننظر إلی أشعار *ناجی* نجد تصاوير اليأس فيها وكلّها إشاعة الروح الرومانتيكية الحديثة وتتمثل فيها شخصية الشاعر مليئة بالشكوى والانات، وديوانه «وراء الغمام» خير شاهدٍ علی هذه السمة فی شعره ويمكننا أن نجد شتی الأسباب لهذه الظاهرة فی شعره ومنها:

١. *ناجی* كان كثير الهموم حيث «كان *ناجی* سريع الانفعال، كثير الأوهام، قلق الظنون، طماغی الحس، رفاف النفس، هفاف المشاعر، وكلها عوامل تظهر أثرها فی اسلوبه وحديثه»(أحمد فؤاد،١٩٨٧م: ٩٩).

٢. قراءته الآثار الغربية كما يشير إليها *الدكتور شوقی ضيف*: «فقد كان يدمن قراءة الآثار الغربية فتتعلّق بهذا الإتجاه وظلّ ينميه، ومن أجل ذلک تتّضح شخصيته فی شعره تمام الوضوح بجميع ملامحها العاطفية وقسماتها الوجدانية وهی شخصية شاعر مجروح يئن دائماً ويشكو افلات سعادته منه بصورة محزونة»(عويضة،١٩٩٣م: ١٧٨).

٣. مذهبه الرومانسی: حيث جری الشاعر فی مجمل شعره مجری رومانسياً فكان الشاعر الحنين إلی عالم أفضل؛ الشاعر الرومانسی يعتمد علی العاطفة الجامحة وعلی الخيال الحرّ الطليق وعلی الخلق والابتكار، وعلی الحياة المثلی وعلی الدمعة المنسكبة علی مآسی الحياة وكما نعلم «الشعر الرومانسی يميل إلی الكآبة والأسی والحنين إلی

المجهول، والإحساس بالغربة والاغتراب المكانی والزمانی من خلال الخيال»(واصف: ۱۹۸۸م: ۲۰۵).

۴. اتجاهه التشاؤمی: تتكدس الصورة السوداء فی قلب الشاعر و«إنّه فی وجدانيته الرومانسية منتحباً أمام شقاء الحياة وهو لا يرى فی الحياة والوجود إلّا ما يزيده الشكوى ويسترسل فی تقبّل قسوة القدر، فلا يفرض علی نفسه التزاماً غير ما يفرضه شقاء الحياة» (الفاخوری، ۱۹۸۶م: ۶۶۳) فهو حالک اليأس، ييأس فلا تلوح له بارقة من نور الأمل، حتی يتمنی الموت:

أصبحت من يأسی لو أن الردی يهتف بی صحتُ به هيا
هيا فما فی الأرض لی مطمع ولا أری لی بعدها شيا
ما ذا بقائی ها هنا بعد ما نفضتُ منه اليومَ كفيا

(ناجی،۲۰۰۸م: ۱۴۳)

فالحزن من طبعه، منعطف إلی كل حزين؛ منجذب إلی كل شجی مكروب. وحينما ندرس شعره نری هذا الحزن فيما يلی:

۱. فی حبه الحزين والمحروم كما فيه أغنية حزينة لحبيب رحل وجمال زال.

۲. إحساسه المأسوی إلی الحياة ورؤيته للكون كما يری عجز الإنسان من التصدی للواقع ويتجلی هذا الإحساس فی ۱هذه المظاهرة: الف. المفارقة الشديدة والتناقض فی الحياة، ب. المخترعات الحديثة. ج. بؤس الفقراء، د. نزعته التشاؤمية، و. الدهر.

۳. فی حبه لوطنه(مصر) وحسرته علی ما أصيبت بها.

۴. فی الموت: الف. وجود الموت الذی يحس الشاعر بشبحه فی حياته، ب. فقد الأعزّاء والرثاء والبكاء عليهم ويكون ذلک برهاناً علی إحساسه الفياض بالموّدة والألم.

۱. الحزن فی الحب وفراق الحبيب

نری فی شعر الرومانسيين بيان العواطف والمشاعر فی الحب والصدق فيها إلی نوعٍ من إشادة المرأة والخضوع لسلطانها ولم يكن خضوعهم من ضعف بل كان ورائها حب عميق وصدق العاطفة ومن روادف هذا الحب ومن مستلزماته الاحساس بالألم والغربة والحنين. كانت حياة *ناجی* قصيدة حبٍ حالمة وأحاديث عاطفة مرهفة وفيها أنغام الهجر والوصال

والرضاء والألم ويعبر عن كلّها بصدق حرارة ولا يجد سوى الدموع للتقرب بحبيبته ولا يجد بلسماً لجراح شغافه إلا الوصال ولذلک يعدّ بحق «شاعر الحب»(رضوان، ٢٠٠٤م: ١٣).

يعزو *الاستاذ ابراهيم المصرى* تشاؤم *ناجى* إلى شدة احساسه بالعواطف الرقيقة التى تضاعف شعوره بالألم عندما يعترض طريقه مشهد مؤثر أو فاجعة رهيبة، أو مجرد سماع انسان يشكو وآخر يستجدى أو ثالث يتظاهر بالسعادة وفى عينيه أثر مجاهدة الدموع(أحمد فؤاد، ١٩٨٧م: ٢٧).

ناجى يصور حبّه ومرارة الفرقة فى قصائده المبثوثة فى ديوانه وهذه النزعة عنده متنوعة نراه يبكى الأطلال ويقف على معاهد ذكرياته وملاعب صباه ويذرف دموعاً ويستمد من خلق صور خاصة لبيان ما فى نفسه من الألم حتى يوحى للقارئ. كما يقول فى قصيدته «الأطلال»:

يا فُؤادى رَحِمَ اللهُ الهوى ... كان صرحاً مِن خيالٍ فهَوَى
اسقنى واشرب عَلَى أطلالِه ... وارو عنى طالما الدمعُ رَوَى
كَيفَ ذاک الحبُّ أمسَى خَبَراً ... وحديثاً مِن أحاديثِ الجَوَى

(ناجى،٢٠٠٨م: ١٣٢)

هنا يبدأ الشاعر قصيدته بمخاطبة فؤاده بديلاً عن كلمة القلب ويستخدمها على أساس التشخيص ويخاطبه. أطلال فى القاموس هى التراث والبقايا الماديه لديار المحبوبة لكنّها عند *ناجى* قد صارت لها دلالات معنوية جديدة فهناک أطلال الحب، أطلال الروح، أطلال الذكرى و... . ونراه حيناً آخر يخاطب الرياح وهذه الرياح هى الثورة النفسية الناشئة من الحب ولكن مضى وصار كلّه خيالاً وقضى عمره فى سبيل الحبيبة التى لا عهد لها:

يا رياحاً ليسَ يهدا عصفها ... نضب الزيتُ ومصباحى انطفا
وأنا اقتات مِن وهمٍ عَفَا ... وأفى العُمر لناسٍ ما وَفَى
وإذا القلبُ عَلَى غُفرانه ... كلّما غاربه النصلُ عَفَا

(المصدر نفسه: ١٣٢)

والمقصود من الرياح أنها الثورة الفنية ومراده من الزيت هو اللقاء والوصال والمصباح هو الحب وإشتعاله.

هذا الغرام کان مقدراً له کالموت وکلّه حزن ومأتمٌ ولا مفر منه والعمر قضی کلّه فیه:

یا غـراماً کـان منّـی فـی دَمِـی قـدراً کالمـوتِ أو فـی طعمِـهِ
مـا قضینـا ساعـةً فـی عرسِـه وقضینـا العمـرَ فـی مـأتمـه
لیـتَ شِعـرِی أینَ مِنـه مَهرَبِـی أیـنَ یمضـی هـاربٌ مـِن دمـه

(المصدر نفسه: ۱۳۲)

ذهب العمر سدی ولم یکن وعدها إلاّ وهماً وهو یضحک ألماً وکمداً وقلبه مذبوح وهنا اشارة إلی حلاوة ألم هذا الحب حیث إنه یشیر إلی الرقص والضحک علی الرغم من الألم الذی یحس فی قلبه فیطحنه طحن الرحی:

ذهـبَ العُمـرُ هبـاءً فاذهبـی لـم یکـن وعـدک الاّ شبحـاً
أنظُـری ضَحـکِی ورَقصِـی فرحـاً وأنـا أحمـل قلبـاً ذبحـاً
ویرانـی النـاسُ روحـاً طائـراً والجـوی یطحننـی طحنَالرحـی

(المصدر نفسه: ۱۳۴)

لعدم الوصال یتغنی بالألم والشجن حتی تکوی عظامه هذه الآلام والذکریات الحزینة وکل ثانیة فی فراقها جمرة حارقة فی وجوده، وهذا تعبیر عن شدة إحساس یشعر به بعاطفة الحب حقاً:

یـا حبیبـاً زرتُ یومـاً أیکـة طـائـر الشـوق أغنـی ألـمـی
لـک إبطـاءُ الـدلالِ المنعـمِ وتـجنـی القـادر المحتکـمِ
وحنیـنی لـک یکـوی أعظمـی والثـوانـی جمـراتٌ فِـی دَمِـی

(المصدر نفسه: ۱۳۶)

وأیضا: یشبه الشاعر قلبه بسبب اضطرابه بموج البحر المتلاطم الذی یخطو إلی الشاطئ مشیرا إلی قلق نفسه ثم یشکو من ألم فواده إلی من یخلق هذا الألم:

قـدمٌ تخـطـو وقلبـی مشبـهٌ مـوجـةً تخطُـو إلـی شـاطئِـها
أیُّـها الظالـمُ بـاللـهِ إلـی کـم أسفـح الدمـعَ علـی مـوطئِـها
رحمةٌ أنـت فهـل مـن رحمـةٍ لغـریـبِ الـروحِ أو ظـامئِـها
یا شفاءَ الـروحِ روحـی تشـتکی ظُلـمَ آسیهـا إلـی بـارئِـها

(المصدر نفسه: ۱۳۶)

ويعبر عن أشجانه فی اللیل ویغنی بها حتی الفجر ویرید بعد الهجران أن یصل إلی الوصال:

هـــدأ اللیـلُ ولا قلـبٌ لـــه أيُّـها الساهـرُ یـدری حیـرتک
أيُّها الشاعـرُ خُـــذ قیثارتَـک غنِّ أشجـانَـک، واسکـب دمعتَـک
غنِّه حتـــی تـری سـترَ الـدُجی طـلـعَ الفجـرُ عـلیـه فانهتـک

(المصدر نفسه: ١٤١)

عمره ضاع فی سبیل أکاذیب المنی وهو أسیر الحب الذی ثمرته الحرمان:

حـانَ حرمـانی ونـادانی النـذیرُ ما الذی أعدَدت لـی قبـل المسـیر؟
زمنی ضـاع ومـا أنصفتَنـی زادیَ الـأولُ کـالـزادِ الأخیـر
ریّ عمری مِن أکاذیبِ المُنـی وطعامـی مِـن عفـافٍ وضمیـر
وعـلـی کفِّـک قلـبٌ ودمٌ وعـلـی بـابِـک قیـدٌ وأسیـر

(المصدر نفسه: ٣٤)

والفراق لدیه عذاب ونار ملتاع ویحس حین الفراق کل أبواب مغلق أمامه ولیس سـبیل إلی السعادة:

أزف البینُ وقد حان الـذهاب هـذه اللّحظةُ قُـدَّت مِـن عَـذَاب
أزف البینُ وهل کـان النَّـوی یا حبیبی غیـر أن أغلِـقَ بـاب؟

(المصدر نفسه: ٣٦)

ونری صورة فراشة من الدموع وحامت فوق عرش من الورد(الخدود) وهی مائلـة سـائلة وتکوّنت من النور والندی وتهفو إلی منهل عذب(الفم) وهذه الفراشة السـائلة(الدموع) بهـا (الحبیبة) مثل ما بالشاعر من الحزن القاتل والکآبة الشدیدة والظمـأ المهلـک(وادی، شـعر ناجی الموقف والأداة: ١٠٧).

مـا راعَ قلبـی منـک إلا فـراشـةٌ من الدمعِ حامَت فوقَ عرشٍ من الورد
مجنحةٌ صیغَت من النـورِ والنـدی تـرفُّ علـی روضٍ وتهـفـو إلـی وردِ
بها مثلُ ما بی یا حبیبـی وسـیِّدی من الشجَنِ القتَّـالِ والظمـأ المُـردی

(ناجی، ٢٠٠٨م: ١١٩)

هذا النسق بعناصره المرکبة ودلالاته المتجـددة صـورة خاصـة ومسـتمدة مـن رؤیتـه المنفردة وتعدّ ابدعاً بصاحبها.

۲. الحزن فی الاحساس المأسوی بالحیاة

حینما نقرأ شعرا رومانسیا نجد فیه الحزن والأسی، حیث «أحس الرومنسی بالقلق وشعر بالحزن ویهرب إلی الطبیعة أو إلی داخل نفسه یفتش عن ذاته ونتیجة لإحساس الرومنسی بالغربة والألم، یحس بالمعاناة»(ممتحن، ۱۳۹۰ش: ۱۰۱). فأزمة الفرد التی یصوّرها *ناجی* من خلال شعره تتجاوز محنة الفرد إلی قضیة الإنسان معذّباً فی روحه ولیست صحیحاً انّ الأزمة أزمة عاطفیة فحسب وإنّما هی أزمة مادیة حقیقیة انعکست فی تلک الصورة العاطفیة ویری الحیاة مقفرة والعمر سراباً ولا یجد فی الکون «ثقباً من رجا» فکل سعادة فیها تنتهی إلی الألم وکل نعیم فیها إلی الشقاء والحرمان وانّ المخترعات الحدیثة تفنی الإنسان ولا تسعده ولا سبیل فیها إلی آماله وفی الحیاة مذلة من أجل حصول علی ما یساعد مواصلة الحیاة ویستر الشقاء العاطفی عذابات مادیة أخری فی الحیاة. یواکب هذا الاحساس المأسوی بالحیاة کثرة تردد مفهوم الغربة ولوازمها المعنویة من الوحدة والیأس بما یوحی بأنّ «هذه الدنیا هجیر کلّها» وحین أحسّ مرارة الواقع وخشونة الحیاة وعدم القدرة علی التصدی لقسوتها جسّد ضیقه فی الحیاة ویأسه منها فی رؤیة رومانسیة لها إطار فکری خاص(وادی،۱۹۹۴م: ۵۷). ونجد هذا الاحساس المأسوی بالحیاة فی مواضع مختلفة ومن مظاهرها:

ألف. المفارقة الشدیدة والتناقض فی الحیاة: وقد نری فی شعره المفارقة الشدیدة والتناقض المعنوی حیث یحسّ الجمال مع الزوال والحیاة معاً، والموت مع النقمة فی آنٍ واحدٍ ولکن إحساسه بالجانب السلبی من هذا الجدال أکثر حدّة کما یقول فی قصیدة «الحیاة»(نفسه: ۵۹).

أنظر إلی شتی معانی الجمال　　منبثّة فی الأرض أوفی السماء
ألاتری فی کل هذا الجلال　　غیر نذیرٍ طالع بالفناء

(ناجی، ۲۰۰۸م: ۲۱)

وهذه الظاهرة تؤکد إحساسه المتواتر بالفناء ومشاعره المطّردة للتشاؤم. شاعرنا حین إرتطم بصعوبات الحیاة عاد محطماً یائساً یضغط علیه خیبة الأمل والملل کما یقول فی قصیدة «الأطلال»:

ألمح الدنیا بعینی سئمٍ　　وأری حولیَ أشباحَ الملل

راقصـاتٍ فـوقَ أشـلاءِ الهَـوَى معـولاتٍ فـوقَ أجـداثِ الأمَـل

(المصدر نفسه: ١٣٤)

ويرى الكون قبراً ضيقاً فيه ظل اليأس والخيبة وليست الدنيا ومـا فيهـا مـن الأكاذيـب وأخيلة دون حقيقـة وتبـدو واهيـاً كخيـوط العنكبـوت: ﴿إنّ أوهـن البيوت لبيت العنكبوت﴾ (العنكبوت/ ٤١):

قـد رأيـتُ الكـونَ قبـراً ضـيقاً خـيَّم اليـأسُ عليـه والسـكوت
ورأت عينـي أكاذيـبَ الهَـوى واهيـات كخيـوط العنكبـوت

(ناجى، ٢٠٠٨م: ١٣٧)

وحينما يغنى أناشيد المنى ردت إليه نواح ولا يجد سبيل إلى وصال آماله فهذا العيش شجو عنده:

يـا نـداء كـلَّمـا أرسلتُـه رُدّ مقهـوراً وبـالحظ ارتـطم
وهتافـاً مـن أغاريـد المنـى عـادَ لـي وهـو نـواحٌ ونـدم
ربّ تمثـال خيـالٍ وسنـا لاحَ لى والعـيشُ شجـوٌ وظلـم

(المصدر نفسه: ١٤٢)

ب. المخترعات الحديثة: يعتقد أن المخترعات الحديثة لا تسـعد الإنسـان قـدر مـا تقضى على وجوده وآماله وهذه المخترعات وسيلة لقتال الإنسان لا أداة سعادته كما يقول فى قصيدة الحياة:

أنظـر إلـى سيـارةٍ كـالأجـل تخطـف خطفـاً لاتُبالـي الزحـام
هذا الردى الجارى اختـراع الرجـل هل بعدصنع المـوت شـيءٌ يُـرام؟

(المصدر نفسه: ٢٢)

الرجل هنا هو الإنسان والسيارة القاتلة هى المخترعات الحديثة التى تقتل البشر.

ج. بؤس الفقراء: ويعانى من أزمة الحياة بما فيها من تنازعات وكفاح حتى يتألّم قلبه وتجرى دموعه حين يرى بؤس الفقراء فى الحصول على الرغيف:

وا رحمتـاه للقـويِّ الصبـور يقضى الليالى فى كفاحٍ سـخيف
وكيـف لا أبكـى لكـدحِ الفقيـر أقصى منـاه أن ينـال َالرغيـف؟

(المصدر نفسه: ٢٣)

وتارة یعکس شعره إحساساً عالی الدرجة بالمذلة فی الحصول علی ما یساعد الإنسان لمواصلة الحیاة وفی سبیل الزاد. والمأکل وهو یوظف أسلوب الاستفهام؛ للدلالة علی الحسرة، والألم، متأثراً فی هذا التوظیف بالنزعة الرومانسیة:

کم صحتُ إذا أبصرت هذا الجهاد ومیسم الذلة فوق الجباه
یا حسرتا ماذا یلاقی العباد؟ أکُلٌّ هذا فی سبیلِ الحیاة؟

(المصدر نفسه: ۲۳)

إن الإنسان بطبعه طموح لغایته، غیور لأمانیه، لکن تفرقات دهر ومعوقات أزمان، تعکر صفو شموخ الذات تحقیق الأمانی، وقلیلاً ما یصل الإنسان إلی مبتغاه وذلک للتضاد الحاصل بین الرغبة الحادة والمنع الحاصل لمسببات دهور، وإن کان موقفه فی بادئ الأمر موقف المناضل الصابر إلا أنه أمام المقدور یطأطأ رقبته، شاعرا بعقم الجهد أمام قوة هائلة تحت مفردة الدهر ویری ناجی الدنیا جسراً یعبّر فیها الإنسان إلی دار النعیم والسعادة ولکن هذا الجسر عنده جسر من لهیب ولیس عنده نصیب فی هذه الدنیا:

حانَ حرمانی فدَعنی یا حبیبی هذه الجنّةُ لیست مِن نصیبی
آه مِن دارِنعیمٍ کلّما جئتُها اجتازُ جسراً مِن لهیبی

(المصدر نفسه: ۳۴)

د. تشاؤمه: إنه سیء الظن بالأیام یتوهم أن القدر موکل به فإذا ظفر بمأمول تلفت الیه قلبه متسائلا:

قال لی القلب: أحقا ما بلغنا؟ کیف نام القدر الساهر عنا؟
أتراها خدعة حاقت بنا ؟ أتراها ظنة مما ظننا؟

(المصدر نفسه: ۹۹)

وهو قدری یتأمل ویتطوح به التفکیر فیتسائل:

وإلام تدفعنا الحوا دث فی عباب یلتطم
دفعت بمرکبنا المقا دیر الخفیة والنسم
خرجت وما تدری الغدا ة بأی صخر ترتطم
بدأت علی ریح الرضا والله یدری المختتم

(المصدر نفسه: ۴۷)

لئن كان الموت عنصراً شكل الحيرة والدهشة لدى الإنسان منذ الأزل، وإنه رغم سعيه الدؤوب لم ينجح فى الإحاطة به، واستسلم له رغم توجسه منه، فإن الشاعر العربى المعاصر قد جرده من ثوبه المعتادة، وأدخله متاهة تمازجت فيها الشطحات الصوفية بالرومانسية المغرقة فى الألم، ولا عجب والحال كذلک أن يتلون هذا الشعر بغيوم الحزن والأسى؛ الذى هو تعبير عن الضياع وانكسار الذات والبحث عن سبيل الخلاص والإنعتاق، والذى فى غالب الأحيان فى الرغبة فى الموت بعد موت الضمير والحب والإنسانية. لقد جعل هذا الألم والحزن الدائم الموت «أكثر التصاقا بشخصية الشاعر العربى المعاصر عما كان عليه سابقوه»(مشوح، ١٩٩٩م: ۴۴۷)؛ فهو حالک اليأس ييأس فلا تلوح له بارقة من نور الأمل حتى يتمنى الموت:

أصبحت من يأسى لو أن الردى يهتف بى صحت به هيا
هيا فما فى الأرض لى مطمح ولا أرى لى بعدها شيا
ما ذا بقائى ها هنا بعد ما نفضت منه اليوم كفيا

(المصدر نفسه: ۵۸)

ويرى ما فى الحياة من التعساء والحرمان بسبب المقادير وإرادتها وليست بإرادة الإنسان وهنا يبلغ تشاؤم ناجى حداً بعيداً جعله يتصوّر أنّ كل شىء بالقضاء والقدر كما يقول:

يا حبيبى كلّ شىء بقضاء ما بأيدينا خُلِقنا تعساء
ربما تجمعُنا أقدارُنا ذاتَ يومٍ بعدَ ما عَزّ اللقاء
فإذا أنكَرَ خِلٌّ خِلَّه وتلاقينا لقاءَ الغرباء
ومضَى كلٌّ إلى غايتِه لا تَفُل شيئاً أو قُل لى الحظ شاء

(المصدر نفسه: ۱۴۰)

هـ . الدّهر: بعض شعراء الحزن والشكوى لم يستطيعوا التخلص من عقدة الدّهر فى أشعارهم ومن جملة هولاء ناجى. ويصرخ ويشتكى من الدهر، إذ أنّه لا يستطيع الوصول إلى طموحاته قد امتلأت نفس الشاعر بالعقد بسبب آلامه فيشير إلى أنّ الدهر سلب من الشاعر هناءه وجعله فى معرض نوائبه ويستعير الدهر للقاتل على سبيل الإستعارة بالكناية:

قد قتل الدهر هنائى كما ماتت بثغرى ضحكات السعيد

وربمـــــا رق زمـــــان قســـــا فنعطـف الجـافی ولان الحدیـد

(المصدر نفسه: ۳۱۰)

وإذا کان کثیر من الشعراء تحسروا علی ضیاع فترة الشباب وبکـوا علـی مرحلـة الصـبا فشاعرنا کذلک بکی الشباب وندب الصبا، ویری بـرق الشـیب مضـیئاً علـی رأسـه یحـزن لمفارقته مرحلة الفتوّة ویحزن لحلول الشیب علیه لما یقترن به من الضعف وبیاض الشیب وسراب الخادع:

یـا ویلتـا مـن عمـری البـاقی هــذا ســواد تحــت أخــداقی
هـذا بیـاض الشـیب وا عجبـی مــن مغــرب فــی زی اشــراق
ویلــی علــی کــأس معربــدة وعلـی دم فـی الکـأس مهـراق
وعلــی ســراب خــادع و علــی متـــالق اللمحـــات بـــراق
طــاف الزمــان بــه علــی نفــر مـــالوا بهامـــات وأعنـــاق
صـرعوا و أنـت تظـنهم سـکروا مــات النــدامی أیهــا الســاقی
یا دهر لـم أشـک الکـلال ولاج ملکـت خطـوبُ الـدهر إرهـاقی

(المصدر نفسه: ۱۵۲)

تتحول التسمیة فی بعض المواضع من «الدهر» إلی «الدنیا» حیث یعتقد الشـاعر بـأن الدنیا لها غدر وخداع ولا مفر من تحمل أثقال أغلالها:

فاقبــلِ الــدنیا علــی حالهــا مســلّما بالغــدر فــی آلهــا
وراضـــیاً عنهـــا بأغلالهـــا محـــتملا وطـــأةَ أثقالِهـــا

(المصدر نفسه: ۳۰۶)

الحزن فی سبیل الوطن

بعد الحرب العالمیة الثانیة ألقت الحرب بظلالها القاتمة علی مصر إذا تاثّر ناجی بالظلام الذی غمر لیالی القاهرة وأوحت هذه اللیالی لنـاجی بمعـانٍ وجدانیـة أخـری ودخـل فـی حیاته حب جدید وینتقل إلی مستوی آخر فی الرمز والدلالة وإلی الغـزل العجیـب لـیس سوی معادل موضوعی لحبّ آخر إنّه غزل فی حب مصر وحسرة علی ما أصیب به وحسـرة أالیمة علی سبیلها وعدم القدرة علی تحقیق آمالها وقهر أعدائها. کانت شعوره بالوطنیة فی

ضميره ومخيلته كما نرى قصائده «فى الظلام»، و«أنوار»، و«مصر» و... بالرغم من أن بعضا يظن بأنّ بلاده لا يستأثر بنصيبٍ كبيرٍ لديه. حب الوطن عند الرومانسيين أديبا أو شاعراً يأخذ سمة التوهج العاطفى فرحاً أو حزناً، غناءً أو بكاءً، فالرومانسى حين يعبر عن الوطن وعن مشاعره حول حب الوطن، هذا التعبير يأخذ شكل الفرحة الصادقة أو النداء الحماسى أو البكاء الحزين، نجده يتأرجح بين حالتى الرضا والحزن كما *ناجى* يحس فقد الأمل حول الوطن ورغم حبه الشديد لمصر ونداءاته المتكررة لأبنائها يستسلم إلى حالة من اليأس والحزن وفى هذه السمة نراه يستعين «بالمعادل الموضوعى» أداةً للتعبير غير المباشر عن يأسه وهو مستوى أقرب إلى الرمز بمعناه الاصطلاحى(وادى، ١٩٩٤م: ١٢٠).

مهما يكن الأمر *ناجى* يحسّ فى داخله الشعور الفيّاض من الوطنية وكان فى الوطنية مثالاً للشاعر الغيور على تراثه والداعى إلى التجديد والابتكار. كما يشدو أغنية حزينة على مصر يشاهد فيها ظلاماً دائماً ولفّها ركودٌ وحيرة وابهام:

كانّ على مصر ظلاماً معلَّقاً ... بآخر من خابى المقادير مربد
ركودٌ وإبهامٌ وصمتٌ ووحشةٌ ... وقد لفّها الغيبُ المحجَّبُ فى بُرد

(ناجى، ٢٠٠٨م: ١٢٠)

ومصر ليس فيها سامر ولا شاعرٌ(أشار الشاعر إلى نفسه) وطال الفراق بينهما ويشبه الشاعر فقدانها(مصر) بفقدان الربيع وبفقدانها يعود الشاعر إلى السقم والإعياء:

أيا مصرُ فيک العشيَّةَ سامرٌ ... ولا فيک من مضغٍ لشاعرک الفردِ
أهاجرتى طالَ النَوَى فارحمى الذى ... تركت بديدَ الشَّملِ منتثرَ العقدِ
فقدتکِ فقدانَ الربيعِ وطيبه ... وعدتُ إلى الإعياء والسُقم والوجدِ
وليس الذى ضيَّعت فيک بِهَيِّنٍ ... لا أنتِ فى الغياب هينة الفقدِ

(المصدر نفسه: ١٢١)

ويخاطبها فى مقام حبيبته:

بعيينک أستهدى فكيف تركتنى ... بهذا الظلامِ المطبقِ الجهمِ أستهدى
بحبِّک أستشفى فكيف تركتنى ... ولم يبق غير العظم والروح والجلدِ

يجعل الشاعر حبيبته رمزاً لوطنه وأداة للهداية والتخلص من الظلام ووسيلة للشفاء. وبما أن الظلام أحد مشتقات اللون الأسود، استخدامه فى المصرع الثانى من البيت الأول

یدل علی حزن الشاعر وتشاؤمه، کما یقول *أحمد مختار عمر* فـی کتابـه «اللغـة واللـون»: «کان العرب یتشاءمون حتی من مجرّد النطق بهذا اللون أو أحد مشتقاته»(عمر، ۱۹۹۷م: ۱۰۳). وأیضاَ:

کنـت إذا ناديـتُ لبَّيـتِ صـرختی فوا أسفاً کـم بيننـا اليـوم مـن سدِّ
سـلام علـی عينيـک مـاذا اجنتـا من اللطف والتحنـان والعطـف والـود

(المصدر نفسه: ۱۲۳)

تحیّةٌ علی دار الحبیبة وعلی الخواطر وعلی الأمسیات وفیها تذکرةٌ لکـل الـذین سـاروا إلی الخلد علی الدم والأشواک ومضوا بعد أن نقشوا الأسماء الخالدة فی الحجر الصلب وکل هذه الدموع فی سبیل المجد:

ویـا دارَ من أهـوی علیـک تحّیـة علـی أکرم الذکری علی أشرف العهـدِ
علی الأمسیات الساحرات ومجلـسٍ کـریمِ الهوی عـفِّ المـآرب والقصـدِ
تُنادِمُنـا فیـه تبـاریـحُ معشـر علی الدمِ والأشواکِ ساروا إلـی الخلـدِ
دموعٌ یذوب الصخرُ منها فإن مضوا فقد نقشوا الأسماءَ فی الحجَرِ الصلـدِ
ومـاذا علیهم إن بکـوا أو تَعذبـوا فإنّ دموعَ البؤسِ مـن ثمـنِ المجـد

(المصدر نفسه: ۱۲۳)

ضاق صدره علی حبه لوطنه وتتلظی لقطعة من وطنه فیحس قلبه لفح النار، ولکن لـه اخوة فی الوطن شهدوا فیبکی قلبه المصری لحماً ودما، المصری أملا وهـوی یبکـی قلبـه وتبکی عینه ویبکی شعره من أجلهم ومن أجل مصر، فیقول:

یـا أمتـی کـم دمـوع فـی مآقینـا نبکـی شـهیدیک أم نبکـی أمانینـا
یـا أمتـی إن بکینـا الیـوم معـذرة فی الضغف بعضُ المآسی فوق أیـدینا

(المصدر نفسه: ۱۰۵)

الموت

إنّ مواجهة المرء للموت ومحاولة قهره والتغلب علیـه، دون جـدوی وأن التمـرد علـی قانون الزمن الصارم وحدوده المرسومة لم یکن ذا جـدوی أیضـاً. یبـدو أن تقبّـل الإنسـان

القديم لهذه الحقائق، لم يمنعه من التعبير عن معاناته من حتمية الموت والشكوى من الزمن الّذى يسوقه إليه فى نهاية الأمر(النعيمى، ١٤٣٠ق: ١١٢-١١١).

ألف. وجود الموت الذى يحس الشاعر بشبحه فى الحياة: الموت من القضايا التى تناولها الشاعر من خلال قصائده فكلما مرض الشاعر أو قضى واحد من أصدقائه أو نظر إلى الحياة وحوادثها و... أصابه الحزن بسبب ما أحس بشبح الموت من الفناء وترک الحياة.

نزل الستار ففيم تنتظر　　خلت الحياة وأقفر العمر
لم يبقَ إلا مقفر تعس　　تعوى الذئاب به وتأتمر
هو مسرح وانفض ملعبه　　لم يبق لا عين ولا أثر

(المصدر نفسه: ١٤٢)

التقى بحبيبه فأخذ يستحثه عجلا على إسعاده قبل أن تولى الفرصة بأفول العمر ألا تلمح هفته فى قوله:

هات اسعدنى ودعنى أسعدک　　قد دنا بعد التنائى موردک
وا بلائى من ليالىّ التى　　قربت حينى وراحت تبعدک
لا تدعنى لليالى فغدا　　تجرح الفرقة ما تأسو يدک

(المصدر نفسه: ٣٥)

ب. فقدان الأعزاء: القصائد التى نظمها *ناجى* فى مناسبات تتضمن الرثاء، المدح، الهجاء والرثاء يحدث أحياناً على حساسيته وعمق عاطفته أن تعصى دموعه فى الرثاء. ليس *لناجى* باعٌ طويل فى الرثاء وطرقَ هذا الباب على ندرة ولكن نجد فى بعضها لوعة صادقة وأنيناً موثراً. من قصائده فى الرثاء نرى رثاء *شوقى* فى أربع قصائد. الأولى ألقاها على قبره والثانية فى تلبينه والثالثة والرابعة فى الحفل الذكرى لمرور عام على وفاته ونشاهد فى قصيدة «فى ساعة التذكار» ألقاها فى حفل جماعة الأدب المصرى فى الاسكندريه وقصيدته ألقاها على قبره حرقة ولوعة حيث يبكى بلهفة الحزين (عويضة،١٩٩٣م: ٧٢).

وفى رثائه *لخليل مطران* نجده شاعراً ملتاعاً حزيناً ولكنّه قصير النفس ولم يكتمل نموها لتصير قصيدة كاملة لأنّ رثائه لم يزد على ثلاثة ورغم قلّتها تعد فى العالم الرثاء اكبر برهاً على الحساس الفيّاض بالمودة والألم(نفسه: ٧٥) وأيضاً نرى فى ديوانه القاهرة

رثائه للشاعر *محمد الهراوی*. فی رثائه *لشوقی* وقصیدته التی ألقاها علی قبره یبکی علیه ویتاسّف لمصر والشرق الأوسط لفقدان من هو قمة الشعراء والأدباء:

قل للذین بکَوا علی شوقی النادبین مصارعَ الشُّهبِ
والهفَتاه لمصرَ والشَّرقِ ولدولةِ الأشعار والأدب

(ناجی،۲۰۰۸م: ۶۳)

فی ذهاب *شوقی* وبسبب موته، ذهبت الدنیا إلی اللحد وهو صحیفة المجد إلی الخلد ولا یفنی:

دنیا تقرُّ الیومَ فی لحدٍ وصحیفةٌ طُویت من المجدِ
ومُسافرٌ ماضٍ إلی الخلد سبَقتهُ آلاءٌ بلا عَدِّ

(المصدر نفسه: ۶۳)

وربما دفین وفقید جعل ما حوله یقطر أسی ولوعة حتی هذه الصحراء جرت لها الأحزان:

یا نازلَ الصحراء موحشةً وریَّانةً بالصمتِ والعدمِ
سالَت بها العبراتُ مجهشةً وجَرت بها الأحزانُ من قدمِ

(المصدر نفسه: ۶۳)

یعلو فی رثائه ویشتد فی وصف بلائه ویجعل یوم وفاة *شوقی* أول أیام الحزن:

کأنَّ یومَک فی فجیعتِه هو أولُ الأیامِ فی الشَّجنِ
کأنَّما الباکی بدمعتِهِ ما ذاق قلبُک لوعةَ الحزنِ

(المصدر نفسه: ۶۳)

وأیضا یقول:

فاذهَب کما ذهبَ النهارُ ومَضَی قد شَیَّعَته مدامعُ الشَفَقِ
وأغرب کما الشعاعُ قَضَی ورفَّت علیه جوانح الغسقِ

(المصدر نفسه: ۶۴)

إنه فی تصویر حزنه لا یعمل کآلة التصویر لیصف حاله وحسب بل یدخل خیاله الواسع فی شعره. فخیال *ناجی* یجعل الغسق کطائرٍ(ظاهرة التشخیص) له جوانح یرفرف بما فوقه.

وهو يستمدّ من الطبيعة فی التعبير عن أحزانه. والطبيعة ملاذٌ يلجأ الشاعر الرومانسی إليه فی المتاعب والشدائد(داود، ١٩٦٧: ٢٩٢) كما أنه يشير إلى هذا فی قصيدة التكريم:

وأستلهم الأمَّ الطبيعةَ وَحـــدَها كَم فِـی الطبيعةِ مِن سَرِی مَعــانِ

(ناجی، ٢٠٠٨: ٣١٩)

هذا المنحى أی ذكر الطبيعة فی الشـعر واضـح عنـدما يبلـغ الشـاعر أصـعب مراحـل التشاؤم ويبلغ به اليأس مبلغه، فإنّه لا يجد ملجأً يلجأ إليـه سـوى الطبيعـة ليبثهـا آلامـه وأحزانه ويشكو إليها جور الحياة وظلم الناس ويجعل الطبيعة كأمّه ويستلهم منها.

ومرة يشبهه أمة ذهبت ومرة أخرى يشبهه بنور العين فانطفا:

مـا كـنـــت إلا أمـــةً ذهَبَـــت والـــعبقـــريـــةُ أمـــــةُ الأمَـــمِ

أو شُعلـــــةً أبصارَنـــا خلبَـــت ومنـــارةً نُصِبَـت علـى عَلَـــمِجج

(المصدر نفسه: ٦۴)

يعتقد الشاعر بأنّ *شوقی* يساوی الأمّة ومع ذهابه وموته تذهب وتموت الأمة لأنّـه يـراه صاحب الهداية يهدی الناس ويوصلهم إلى السعادة ويشبّهه بالنور. ويتضمن فـی المصـراع الأخير شيئا من شعر *الخنساء* فی رثائها لأخيها *الصخر* حيث تقول:

إنّ صـخرا لتـأتمّ الهُـداةُ بـه كأنّـه عَلَـمٌ فـی رأسـه نـارُ

(الخنساء: ۴۶)

ولم يترک *ناجی* مكانه فی هذه المرثية ويؤكد بأنّه سوف يفيه حقه من الرثاء فيما بعد كما نری فی قصيدته «ساعة التذكار»:

لكـنَّ حُـزنی لـو علمـت بِـه لـم يُـبـقِ لِـی صَبـراً ولا جُهـدَا

فاعـذر إلـی يـومٍ نفيـک بـه حـقَّ النبـوغِ ونـذكـرُ المـجـدَا

(المصدر نفسه: ۶۴)

نتيجة البحث

تبين لنا أنّ *ناجی* فـی دراسـاته جمـع بـين نتـاج الرومانسـيين العظـام فـی الأدبـين الإنجليزی والفرنسی والبدايات الرومانسية العربيـة كمـا بلغتهـا محـاولات *خليـل مطـران* وجماعة أبولو فی مصر وهذه الإتجاهات أثّرت فی شعره حيث اتجه إلى النزعـة الوجدانيـة

ویزخر شعره بالوجد کما یفیض بالذوبات الإنسانی. وساهمت أسباب عدیدة لتشکیل إتجاهه الحزین ومنها؛ الف. سرعة انفعاله، قلق ظنه وطماغی حسه، ب. قراءته الآثار الغربیة، ج. مذهبه الرومانسی، د. اتجاهه التشاؤمیة.

الألفاظ خیر تعبیر عن الحالمة المفعمة بالألم والحیرة ویعدّ أسلوبه فی تعبیره من أرقی الأسالیب فی المدرسة الکلاسکیة المجددة تحت رایة الإبتداعیة فهو یحب الإحتفاظ بأصول اللغة وأسالیبها فی حریة مجدداً فی التجوز بالألفاظ عن معانیها الحقیقیة. فنراه غارقاً فی أجواء تأمّله ونری المرأة فی شعره هی الإنسانیة الکریمة التی یحرص علی انسانیّتها وهو صادق فی تعبیره عنها وتغمر قصائده رقة عاطفیة وشعور حب دافقٍ وحزین. فی جانب آخر یمدّ نظره إلی العالم ویتیه فی الدنیا ولا یعلم عنها إلا الظلال ونجد بعض التناقضات فی رأیه حول الکون حیث یبدو الجانب السلبی اکثر حدّةً ولا یری فی الحیاة الا ما یزیده الشکوی، کما نجد رأیه فی المخترعات الحدیثة وفی بؤس الفقراء وفی تشاؤمه و...؛ ونری مشاعره حیناً آخر حول وطنیته وهو فی حبه إلی الوطن شاعر غیور ویستعین بالمعادل الموضوعی أداة لتعبیر غیر مباشر عن ألمه مع عناصره ودلالاته المتجددة. وقد نری أیضاً حزنه فی الموت الذی یحس بشبحه فی حیاته وحینا آخر فی موت الآخرین وفی رثائهم ولو لم یکن شاعر رثاءٍ ولکن نجد احیاناً إحساسه الفیاض بالمودة والألم کما نقرأ شعره حول *أحمد شوقی*.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن منظور، محمد بن المكرم. لا تا، **لسان العرب**، ط ٣، بيروت: دار صادر.

احمد بن فارس. لا تا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد فؤاد، نعمات. ١٩٨٧م، **شعراء ثلاثة(ابراهيم ناجى، أبوالقاسم الشابى، الأخطل الصغير)**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الأصفر، عبد الرزاق. ١٩٩٩م، **المذاهب الأدبية لدى الغرب**، لا ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

إمرؤ القيس. ٢٠٠٨م، **الديوان**، عبد الرحمن المصطاوى، ط ۴، بيروت: دار المعرفة.

خفاجى، محمد عبد المنعم. ١٩٩٢م، **دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه**، ط ١، بيروت: دار الجيل.

خفاجى، محمد عبد المنعم. ١٩٥۶م، **قصة الأدب المعاصر فى مصر الحديث**، لا ط، القاهرة: المطبعة المنيرية.

الخنساء. ٢٠٠۴م، **الديوان**، اعتنى به وشرحه حمدوطماس، ط ٢، بيروت: دار المعرفة.

خورشا، صادق. ١٣٨۶ش، **مجانى الشعر العربى ومدارسه**، ط ٣، طهران: سمت.

داود، أنس. ١٩۶٧م، **التجديد فى الشعر العربى المهجر**، لا ط، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف.

رضوان، محمد. ٢٠٠۴م، **إبراهيم ناجى شاعر الطلال وأحلى قصائده العاطفية**، ط ١، دمشق: دار الكتاب العربى.

الشابى، ابوالقاسم. ١٩٩۶م، **ديوان أغانى الحياة**، ط ١، بيروت: دار صادر.

ضيف، شوقى. ١٩٩٢م، **الأدب العربى المعاصر فى مصر**، ط ١٠، القاهرة: دار المعارف.

الطوسى، ابى جعفر محمد بن الحسن. ١٣٠٩ق، **التبيان فى تفسير القرآن**، تحقيق احمد قصير العاملى، ط ١، مكتب الاعلام الاسلامى.

عمر، أحمد مختار. ١٩٩٧م، **اللغة واللون**، ط ٢، القاهرة: عالم الكتب.

الفاخورى، حنا. ١٩٨۶م، **الجامع فى تاريخ الأدب العربى؛ الأدب الحديث**، ط ١، بيروت: دار الجيل.

فلسطين، وديع. لا تا، **ناجى حياته واجمل اشعاره**، لا ط، بيروت: دار ومطابع المستقبل بالفجالة والاسكندرية ومؤسسة المعارف.

المتنبى(ابوالطيب، احمد بن الحسين الجعفى). لا تا، **الديوان**، ابو البقاء العكبرى، لا ط، بيروت: دار المعرفة.

مجنون لیلی(قیس بن الملوح). ۲۰۰۵م، **الدیوان**، الدکتور یوسف فرحات، بیروت: دار الکتب العربیة.
محمد عویضة، الشیخ کامل محمـد. ۱۹۹۳م، **إبراهیم ناجی شاعر الطـلال**، ط ۱، بیـروت: دار الکتـب العلمیة.
مشوح، ولید. ۱۹۹۹م، **الموت فی الشعر العربی السـوری المعاصـر**، لا ط، سـوریا: مطبوعـات اتحـاد الکتاب العرب.
ناجی، إبراهیم. ۲۰۰۸م، **الدیوان**، بیروت: دار العودة.
النعیمی، أحمد إسـماعیل. ۱۴۳۰ق، **الشعر الجاهلی منطلقاته الفکریـة وآفاقـه الإبداعیـة**، ط ۱، لا مک: الدار العربیة للموسوعات.
وادی، طه. ۱۹۹۴م، **جمالیات القصیدة المعاصرة**، ط ۳، القاهرة: دار المعارف.
وادی، طه. ۱۹۹۴م، **شعر ناجی الموقف والأداة**، ط ۴، القاهرة: دار المعارف.
واصف، أبو الشایب. ۱ ۹۸۸م، **القدیم والجدید فی الشعر العربی الحدیث**، بیروت: دار النهضة العربیة.
الورقی، سعید. ۱۹۸۴م، **لغة الشعر العربی الحدیث**، ط ۳، بیروت: دار النهضة العربیة.

الکتب الانجلیزیة

Draw, Elizabeth. (1961). How to Appreciate and Interpret Poetry.
Trans, Mohammad Ibrahim el-Shush. Beirut, Lebanon.

المقالات

ممتحن، مهدی ومهاجر نوعی، زهـرا. ۱۳۹۰ش، «**الحزن الرومنسی بین الأدب الحـدیث ورومیـات الحمدانی**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامیة، فـرع جیرفـت، السـنة ۳، العـدد ۱۰، صص ۹۷- ۱۱۱.

Bibliography

The Holy Quran
Ibn Manzour, Muhammad ibn Mukaram (No date), Lesan al-Arab, Beirut: Dar Sader Press.
Ibn Fares, Ahmad (No date), *Maqais al-Logha*, Achieving Abdol Salam Mohamad Haroun, Beirut: Dar AlKotob Al Arabi.
Ahmad Fouad, Nemat. (1987), three poets, (Ibrahim Naji, Abul'qasem al-Shabi, Al-Akhtal Al-Saghir), Cairo: The Egyptian General Establishment for book.
Al-Asfar, Abdul Razzaq (1999), Doctrines of the literature of the West, No Edition, Beirut: Dar El- Marefah.
Imrual-Qais, (Abu Wahab, Jondah). (2008), Al-dyvan, Abdul Rahman al-Mastawi, fourth edition, Beirut: Dar El- Marefah.
Khafaji, Mohammad Abdul Moneim (1992), Studies in modern Arabic literature and its schools, First edition, Beirut: Dar Al-Jeil.

Khafaji, Mohammad Abdul Moneim (1956), Story of modern literature in modern Egypt, No Edition, Cairo: Al- Moniriya Press.
Al-Khansa (2004), The Diwan, Introduction: Hamdtammas, second edition, Beirut: Dar El-Marefah
Khoorsha, sadeq (1386). Garden of new Arabic poetry and its Schools, Third edition, Tehran: Samt Publication.
Rezwan, Mohammad (2004), Ibrahim Naji and his most emotional poems, First edition, Damascus: Dar Al-Kitab Al- Arabi.
Shabi, Abu-Qasem (1996), Diwan Songs of Life, First edition, Beirut: Dar Sader Press.
Daif, Shawgi (1992), Contemporary Arabic literature in Egypt,Tenth Edition, Cairo: Dar Al- Maarfe.
Al-Tusi, Abi Ja'far Muhammad ibn al-Hassan (1309). Al-Tibbyan Fi Tafsir al-Quran, Research: Ahmad Qusayr al-Amoli, First edition, Islamic Information Office.
Omar, Ahmad Mukhtar (1997), Language and color, second edition, Cairo: Alam Al-Kotob Press.
Al-Fakhoury, Hanna (1986), The whole in the history of Arabic literature: Modern literature, First edition, Beirut: Dar Al-jail.
Wadie, Palestine (No date), Naji: his life and his most beautiful poems, No edition, Beirut: Dar Al-Mustaqbal.
Al-Mutanabbi (No date), Al-Diwan, Abu Al Baqa Al-Okbori, No edition, Beirut: Dar Al-Marefah Press.
Majnon Lily (Qays Ibn al-Mulawwah) (2005), The Diwan, Yusuf Farhat, Beirut: Dar Al-Kutub Al- Arabi.
Mohammad Awaizah, Sheikh Kamal Mohammad (1993), Ibrahim Naji poet of the remains of the ruins, First edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmeyyeh.
Momtahen, Mahdi and Mohajer Noie, Zahra (2011), The romantic sadness between the modern literature and Hamdani's complaints, Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies, Islamic Azad University in Jervat, Volume 3, Issue 10.
Mushawah, Walid (1999), Death in the Syrian Arab contemporary poetry, No edition, Syria: Library of the Union of Arab writers.
Naji, Ibrahim (2008), The Diwan, Beirut: Dar Al-Awda Press.
Naimi, Ahmad Ismail (1430), Pre-Islamic poetry and its intellectual approach and Innovative horizons, First edition, Arab Encyclopedia House.
Wadi, Taha (1994), Beauties of the contemporary poetry, Third edition, Cairo: Dar Al-Maarfe.
Wadi, Taha (1994), Poetry of Naji: Position and instrument, fourth edition, Cairo: Dar Al-Maarfe.
Vasef, Abu al-Shayib (1988). Old and new in modern Arabic poetry, Beirut: Dar Al Nahda Al Arabeya for Publishing.
Alwaraqi, Sa'id (1984), language of Modern Arabic poetry, fourth edition, Beirut: Dar Al Nahda Al Arabeya for Publishing.
Davod, Anas. (1967), Renovation in emigration Poetry, No edition, Cairo: The Egyptian General Establishment for Publishing.
Draw, Elizabeth (1961), How to Appreciate and Interpret Poetry.Trans. Mohammad Ibrahim el-Shush. Beirut, Lebanon. Mneimneh Librar.